موضوعات إثرائية: علماء، معلِّمون ومربّون

الدكتور الراحِل: محمد البغدادي (1930 – 2020): العالم الذي نذر عمره للعربية والفيزياء

في زقاق قديم من أزقة حيّ العمارة بدمشق، وفي بيت متواضع في محلّة "الشرف الأعلى"، وُلد محمد البغدادي عام 1930، ليكبر ويصبح أحد أعلام الفيزياء النظرية في العالم العربي. لم تكن بداياته تشير إلى أنه سيغدو عالمًا فيزيائيًا، إذ التحق بدايةً بكلية الحقوق في جامعة دمشق. غير أن القدر كان يخبّئ له مسارًا مختلفًا، فبعثة دراسية إلى فرنسا فتحت أمامه أبواب الرياضيات والفيزياء، لتأخذه بعيدًا عن مرافعات القضاة إلى معادلات الكون.

من القانون إلى المعادلة: ميلاد الفيزيائي

© 2025 الجمعيّة العربيّة للفيزياء

في باريس، تعلّم البغدادي أن الرياضيات ليست فقط أداةً للعدّ والحساب، بل لغةً لفهم العالم. حصل على إجازة في الرياضيات، ثم الدكتوراه في الفيزياء النظرية، مركّزًا على الجوانب الرياضية العميقة في تفسير الظواهر الطبيعية. تلك الحقبة صاغت شخصيته كعالم يتقن المزاوجة بين الصرامة الرياضية والرؤية الفلسفية للعلم.

بعد عودته إلى سوريا، بدأ البغدادي مسيرته الأكاديمية أستاذًا في كلية الهندسة بجامعة دمشق. لم يكن مجرد معلّم، بل مصلحًا تعليميًا يحمل همًّا حضاريًا: أن تُدرَّس الفيزياء والعلوم بلغتنا الأم. لم يكن هذا الموقف شعارًا، بل خيارًا أكاديميًا عميقًا نبع من إيمانه بأن اللغة العربية، إذا ما أُتيح لها المحتوى العلمي الرصين، يمكن أن تعود إلى سابق عهدها كلغة علم وفكر.

ولأن الطموح لا يُحبّ القيود، انتقل البغدادي للعمل في المغرب، أولًا كخبير في "اليونسكو"، ثم أستاذًا في جامعة محمد الخامس بالرباط، حيث أسّس قسم الفيزياء النظرية، ودرّس لعقود طويلة باللغتين العربية والفرنسية. خرّج أجيالًا من الفيزيائيين المغاربة والعرب، طلاب ماجستير ودكتوراه، كثير منهم صاروا أساتذة في الجامعات.

موسوعة على ضوء الشمعة

ربما أعظم ما يميز البغدادي هو عمله الموسوعي الضخم" **:أسس الفيزياء المعاصرة**"، الذي قضى سنوات طويلة في تأليفه منفردًا دون دعم مؤسساتي. خمس مجلدات متكاملة في الميكانيكا، الديناميكا الحرارية، الكهرومغناطيسية، ميكانيكا الكم، والفيزياء الإحصائية. صُممت الموسوعة لتخاطب القارئ العربي بلغة علمية دقيقة، مستخدمة مصطلحات عربية رصينة ومراجع حديثة، وبنية منهجية تسمح باستخدامها كمصدر أكاديمي معتمد بعد المرحلة الجامعية الأساسية. لم يكن ذلك مجرد عمل علمي، بل مشروعًا حضاريًّا، يعبّر عن قناعة البغدادي العميقة بأن اللغة العربية قادرة على احتضان العلم الحديث دون استجداء أو تبعية.

رغم عمله الأكاديمي الرفيع، لم يكن البغدادي ينعزل في برج عاجي. لقد خاض معارك فكرية وثقافية للدفاع عن التعليم باللغة العربية، وكان حاضرًا في الحوارات التربوية الكبرى في الشام والمغرب، صوته هادئ، لكن حجته رصينة. وكان من أصدقائه المقربين العالم الباكستاني محمد عبد السلام، الحائز على جائزة نوبل، وقد عمل معه في المركز الدولي للفيزياء النظرية في تريستي بإيطاليا.

إرث لا يموت

توفي الدكتور محمد البغدادي يوم 17 مارس 2020 في مدينة الرباط، بعد حياة حافلة امتدت لتسعة عقود، كرّسها للعلم والتعليم والتأليف. رحل بعيدًا، لكن علمه لم يرحل، وموسوعته ما تزال مرجعًا ينتظر الاكتشاف في كثير من مكتباتنا.

© 2025 الجمعيّة العربيّة للفيزياء